حمد الحسيني الخيرية
Hamad Al Hussaini Charity

الخطاب الدعوي لجماعة المسجد

إعداد
شركة الخبرات الذكية
للتعليم والتدريب

الخبرات الذكية
Smart Expertises
تعليم . تدريب . استشارات

بسم الله الرحمن الرحيم

استهـــــلال:

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن الخطاب الدعوي له أهمية بالغة خصوصاً في هذه المرحلة التي تمر بها الأمة من تشويه المفاهيم والأفكار؛ ولهذا رفع النبي ﷺ من شأنه وجعله صنو الجهاد العسكري والمالي، فقال: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم) أخرجه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح، كما أمر الله سبحانه رسوله بأن يجاهد بالقرآن فقال تعالى: (وجاهدهم به جهاداً كبيراً).

ولما كان الأمر كذلك لزم على من ولاه الله أمانة التوجيه والإرشاد أن يقوم بواجب الإيضاح والبيان خير قيام، ومنهم أئمة المساجد الذين دعا لهم النبي ﷺ فقال: (اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين) أخرجه أبو داود والترمذي وصححه الألباني؛ وذلك من خلال الخطاب الدعوي الهادف والذي نسعى لبيانه في هذه المادة باختصار بإذن الله تعالى:

مـــاذا نعني بالخطـــاب الدعـــــوي؟:

الخطاب الدعوي هو البيان الهادف إلى تفهيم الناس دين الله تعالى ودعوتهم إليه، من خلال الحديث أو الكتابة التي يتوجه بها المتحدث أو الكاتب إلى فرد أو جماعة من الناس– حاضرة عنده أو غائبة –، بغرض دعوتهم إلى الحق والدين القويم وبيان أحكام الدين لهم، وتحذيرهم مما يخالف الشرع والدين، ولا يخفى أن هذا الخطاب الدعوي يعتمد على المنهج النبوي الذي يتضمن الدعوة لأصول الإسلام ومبادئه الكلية في مضمونه ومحتواه.

وإمام المسجد أحد أهم المصادر التي تقدم خطاباً دعويا للناس من خلال خطبة الجمعة الأسبوعية والأعياد والمناسبات .. ومن خلال الكلمات والدروس والمواعظ التي يقدمها لجماعة المسجد ... ولذا فعليه الأخذ بأسس ومنطلقات الخطاب الدعوي التالية:

أسس ومنطلقات الخطاب الدعوي الموجه لجماعة المسجد:

لكل خطاب قواعده التي ينطلق من خلالها، وبقدر متانة ورسوخ هذه القواعد بقدر ما يكون تأثيره ونفعه.

ومن هذه الأسس التي ينبغي على إمام المسجد العناية بها:

١- الاعتماد على الكتاب والسنة:

بأن يستند خطابه في دروسه وكلماته ونصائحه الفردية والجماعية لجماعة مسجده إلى الكتاب والسنة، وإتباع هدي النبي ﷺ وسيرته في توجيهاته ومواقفه، والثبات وعدم التمييع في مسائل الدين وقضاياه، وكلما كانت الخطبة أو الكلمة أو الكتاب الذي يقرأ منه مفعماً بالآيات والأحاديث وأقوال سلف الأمة كان أقرب للناس وأدعى للقبول والموافقة, مع مراعاة الأسلوب الحسن والطريق القويم في النصح والإرشاد، وانظر إلى موقف النبي ﷺ في ثباته على محكم الدعوة رغم كل ما تعرض له من الفتنة والإيذاء، روى ابن إسحاق عن

ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قريشًا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالًا؛ فيكون أغنى رجل بمكة، ويُزوِّجونه ما أراد من النساء ويَطَئُون عقبه، فقالوا: هذا لك عندنا يا محمد، وكُف عن شتم آلهتنا، ولا تذكرها بشر، فإن بغضت فإنا نعرض عليك خصلة واحدة، ولك فيها صلاح، قال: «وما هي؟»، قال: تعبد إلهنا سنة، اللات والعزى، ونعبد إلهك سنة، قال: «حتى أنظر ما يأتيني من ربي»، فجاء الوحي من عند الله عز وجل من اللوح المحفوظ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ...﴾ السورة، وأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونُ﴾ (الزمر:٦٤)، ﴿بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (الزمر:٦٦).

٢- التفريق بين المحتوى الشرعي والوسيلة:

مما ينبغي العناية به في هذا المقام التفريق بين الأصول والثوابت العقدية والأخلاقية والإيمانية؛ فهذه تتسم بالثبات والأصالة وعدم التغير في مضمونها، وبين الأساليب والوسائل التي تقدم به هذه الأصول والثوابت؛ فهذه قابلة للتجديد والتطوير بما يتلاءم مع الزمان والمكان ونوعية المخاطبين ومستوياتهم العمرية والعلمية وذلك على وفق مقتضيات الشرع؛ كاستخدام الأجهزة الحديثة في شرح بعض المواضيع الشرعية (شرح صفة الصلاة من خلال عرض فيلم تطبيقي) أو استخدام بعض الصور لغير ذوات الأرواح لتقريب المعاني أو استخدام أسلوب القصص والحوار والإقناع وضرب المثال والاستفهام ... مع الإيجاز والوضوح والبيان ومراعاة ما يقتضيه حال من أمامه، بشرط أن يحقق المصلحة المرجوة ولا يترتب عليه ضرر.

٣- الشمول والتكامل في الخطاب الدعوي:

دين الله تعالى شامل لكافة جوانب الحياة العلمية والعملية، ولا ينبغي على الإمام الداعية بحال، أن يهمش شيئًا من جوانب هذه الحياة، فهذا الدين رسالة تجمع بين الدنيا والآخرة،وبين حاجات الفرد، وشئون الأسرة، والمجتمع والدولة، والعلاقات الدولية، هذه رسالة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل:٨٩)، فعلى إمام المسجد أن يوازن بين هذه الجوانب وأن يستحضر في خطابه وتوجيهاته ودروسه ورسائله التنوع بين تلك الجوانب فيغذي الإيمان تارة بمواعظه ورقائقه ويرسخ العقيدة تارة

بأسلوب علمي ميسر ويبين الأحكام التي تمس المصلين وتهمهم في عباداتهم ومعاملاتهم وأسرهم ... بأسلوب واضح وبيان جلي، ولا يغفل بناء الأخلاق وتكريس النموذج الأمثل من خلال سيرة النبي ﷺ وصحبه الكرام؛ فيحث على الرحمة وحسن الخلق والكرم والإيثار وبر الوالدين ... ويحذر من مساوئ الأخلاق وذميمها من الحسد والبخل والعقوق وإيذاء الجار ...، ويتناول المواضيع الأسرية والعلاقة بين الزوجين وتربية الأبناء وإصلاح ذات البين .. ويناقش حاجات أهل حيه مما يستجد عليهم من قضايا وشئون حياتهم مثل كيفية التعامل مع التقنية والتحذير من بعض العادات الصحية والغذائية الضارة وبيان خطر الهجمات التغريبية على المجتمع .. ويسعى لتحصين جماعة مسجد من الأفكار الضالة والتصورات الفاسدة ..

فالخطاب الذي ينطلق من حاجات الناس وواقعهم وتحدياتهم يكون أكثر قبولا لهم وإقبالاً منهم، مع إعطاء الأولوية لما ينتشر في حيه وبين جماعة مسجده بشكل أخص.

٤- تنويع مداخل التأثير في الخطاب الدعوي:

فمما ينبغي على إمام المسجد أن يحرص عليه تنويع مداخل خطابه الدعوي في الأسلوب، والمضمون، والبعد عن الإملال والتكرار بغير داع، وإلباس المعاني قوالب جديدة بحيث يجدد مضامين دعوته؛ بما يحقق رسالته فيبحث عن الاستجابة والتأثير والتغيير لا على البلاغ فقط، من خلال القصة الهادفة والحوار اللطيف والكلمة المؤثرة ... كما تجده مفصلاً في فنون الإلقاء. ومن أهم تلك المداخل تأثيراً الحوار والإقناع العقلي إذ أنه أبقى أثراً وأعظم نفعاً على المدى البعيد، وتأمل ما رواه أبو أمامة - رضي الله عنه - قال: إن فتى شابًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه، مه، فقال: «ادنه»، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: «أتحبه لأمك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأمهاتهم»، قال: «أفتحبه لابنتك؟»، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم»، قال: «أفتحبه لأختك؟»، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم»، قال: «أفتحبه لعمتك؟»،قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناسي حبونه لعماتهم»، قال: «أفتحبه لخالتك؟»، قال:

لا والله، جعلني الله فداءك، قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم»، قال: فوضع يده عليه وقال: «اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه»، قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. رواه أحمد (تتمة مسند الأنصار)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٧٠).

فلا ينبغي للإمام أن يقتصر في خطابه على مجرد سرد للحقائق دون التركيز على جوانب الإقناع العقلي، مع إعطاء فرصة للحوار الهادف والنقاش مع الجماعة، في إطار الاحترام المتبادل وتقدير النصوص الشرعية، حتى ولو كان الخطاب مع طفل صغير والأسوة في ذلك رسول الله ﷺ، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة.

وهكذا كان فعل رسول الله ﷺ في كثير من الخطابات التوجيهية والتعليمية، حيث كان أسلوب الحوار حاضراً في كثير منها لإثارة انتباه من يخاطبهم، وتشويقهم إلى معرفة الجواب، وحضهم على إعمال الفكر لمعرفة الجواب.

ومن أساليب تنويع مداخل التأثير في الخطاب الدعوي ما يلي:

- استخدام التقنية وتفعيلها في توضيح وبيان ونشر الخطاب الدعوي.
- استخدام التطبيق العملي المباشر في شرح وتوضيح المفاهيم والأحكام الشرعية. (المسح على الخفين – صف الصلاة – ..).
- تغيير مكان تقديم الخطاب الدعوي فيمكن تقديم الخطاب داخل المسجد ويمكن في اللقاء الدوري بين الجيران ويمكن في صالة قريبة من المسجد لأحد المدارس الأهلية أو مراكز التنمية الاجتماعية أو ..
- تغيير زمان تقديم الخطاب الدعوي فيمكن أن يكون بعد ظهر يوم السبت في يوم الإجازة ويمكن يكون بعد مغرب الجمعة .. بما يتناسب مع ظروف وطبيعة جماعة المسجد.
- تغيير الملقي فيمكن استضافة بعض الدعاة والمتخصصين الذين يناسب طرحهم جماعة المسجد لتقديم بعض الموضوعات المناسبة.
- تخصيص الخطاب لشرائح محددة ومستهدفة في سياق مناسب لهم (مكاناً وزماناً وآلية ومحتوى..) فمرة يكون الخطاب للأطفال ومرة للشاب وآخر للنساء وغيره للفتيات وهكذا.

٥- مراعاة خاصية التيسير الشرعي المرغب فيه:

فالتيسير والسماحة سمة الشريعة الإسلامية، وخصيصة ثابتة من خصائص الخطاب الدعوي قال جل شأنه: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ (البقرة:١٨٥)، وقال تعالى: ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ (الأعلى:٨).

عن أبي هريرة قال: قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ﷺ: «دعوه، وهريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين» رواه البخاري (كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد).

فماذا كان من أمر ذلك الأعرابي،الذي قارن بين معاملة النبي ﷺ ومعاملة الصحابة،ما كان منه إلا أن قال كما جاء عن أبي هريرة قال: قام رسول الله ﷺ في صلاة وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمدًا، ولاترحم معنا أحدًا، فلما سلم النبي ﷺ قال للأعرابي: «لقد حَجّرْتَ واسعًا»، يريد رحمة الله. رواه البخاري (كتاب: الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم).

فالتيسير مطلب شرعي، ومقصد من مقاصد الحنيفية السمحة، لكنه لا يعني التساهل فيما حرم الله، فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده قال: لما بعثه رسول الله ﷺ ومعاذ بن جبل قال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا»، قال أبو موسى: يا رسول الله، إنا بأرض يصنع فيها شراب من العسل، يقال لها لبِتْعُ، وشراب من الشعير، يقال له المِزْرُ؟ فقال رسول الله ﷺ: «كل مسكر حرام» أخرجه البخاري (كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ: «يسروا ولا تعسروا»).

فوصية النبي ﷺ لهما بالتيسير لم تحملهما على تحليل المسكر الحرام.

٦- العناية بمناسبة الخطاب الدعوي للواقع، ومراعاة الحال:

فالإمام بأمس الحاجة إلى العلم والوعي بالواقع الذي يعيشه؛ فذلك له أثره البالغ في تعاطيه مع قضايا جماعته، ومعالجته لكثير من المسائل والمواضيع المستجدة ومن ثم القدرة على التأثير فيهم.

وتأمل كيف كان لعلم الرسول ﷺ بواقعه أثر في توجيهه للمستضعفين من صحابته بالهجرة إلى الحبشة، وقال لهم : «إن فيها ملكًا لا يظلم عنده أحد».

وفي السيرة النبوية أمثلة كثيرة تبين اهتمام النبي ﷺ بالواقع المحيط به:

ومن الوسائل التي تساعد إمام المسجد على التعرف على واقعه ما يلي:

- وضع صندوق أو بريد خاص بالمسجد يستقبل فيه الإمام مقترحات جماعة المسجد للخطب والمواضيع التي يريدون الإمام أن يطرحها .. ويمكن يكون كذلك لاستقبال الملحوظات والمقترحات بشكل عام.
- توزيع استبانات ورقية أو إلكترونية على جماعة المسجد لاستكشاف بعض احتياجاهم وواقعهم في مجالات متعددة.
- استشارة بعض النشطاء من جماعة المسجد والتعرف من خلالهم على واقع الحي وشئونه.
- عقد ورش عمل مختلفة مع شرائح مختلفة (شباب – كبار نساء – أطفال – عمال..) من جماعة المسجد للتعرف على اهتماماتهم واحتياجاتهم وواقعه في الحي.
- زيارة ومشاركة إمام المسجد جماعة مسجده في المناسبات العامة والخاصة التي تحدث في الحي .
- زيارة الجمعيات المتخصصة القريبة من الحي (جمعيات البر) للتعرف على واقع جماعة مسجده أو زيارة قسم الشرطة أو مدراء المدارس في حيه للتعرف على واقع الحي.
- تكوين مجلس استشاري من جماعة المسجد متنوع في أعضائه بحيث يساعد على التعرف على واقع الحي واحتياجاته.

و لاشك أن أئمة المساجد كبقية الناس يتفاوتون في قدراتهم على الإدراك والاستيعاب، ولكن لابد أن يكون عند الإمام قدر لا باس منه من هذا الأمر.

٧- مراعاة ترتيب الأولويات وتقدير المآلات:

فلا بد أن يراعي إمام المسجد في خطابه الدعوي الأولويات ومآلات الأمور؛ ومن ذلك مراعاة ما يلي::

- الواقع كما سبق بظروفه الزمانية والمكانية والشخصية.

فموسم رمضان مثلاً؛ الأولى الحديث فيه عن التوبة وعن فضائل الشهر وليس عن المنكرات العامة والخاصة.

والخطاب عند المحن والتحديات التي يمر بها المجتمع ليس كالخطاب عند الاستقرار والأمان .. فالأول يؤكد اللحمة والتعاون ورأب الصف والثاني يؤكد على العمل البناء وإقامة المشاريع الخيرية .. وهكذا

- الأحكام الشرعية الخمسة والموازنة بينها وإعطاء كل حكم منها وزنه المعتبر شرعاً بلا غلو ولا تقصير.
- التمييز بين المتفق عليه والمختلف فيه الذي هو من قبيل الاجتهاد السائغ.

فلا يشنع على المخالفين فيما يسوغ فيه الاختلاف .. ولا يلزم الناس بقول مجتهد واحد .. بل التركيز على الكليات والأصول من الدين .

٨- استخدام الإمام في خطابه لغة تفاؤلية، بعيدة عن التيئيس، والتنفير، مع العناية بالألفاظ ذات البعد الإيجابي المحفز.

فيتجنب التركيز في كلماته وخطبه على المآسي والأحزان والأخطاء والتقصير الحاصل من الأفراد والمجتمعات وإنما ينوع ويبعث الأمل ويحث على العمل ..

ومما يساعد الإمام في تطوير لغته، وقدرته على التنويع الإيجابي في خطابه الدعوي إدراكه لعدد من المهمات منها:

- فهم مقاصد التشريع، مع مراعاة فقه الأولويات، والتفريق بين حال الفتوى وحال الدعوة، في الخطاب، فبين المقامين فرق بين.

- الحرص على جمع الكلمة، والبعد عما يفرق الصف، ويثير الفرقة بين الناس.

٩- ابتعاد الإمام عن التعميمات والمبالغات في القصص والأخبار والتصورات وإطلاق الأحكام على الأفراد والممارسات..

يوجهنا الله عز وجل إلى القول السديد والذي يقتضي تجنب التهوين أو التهويل في الخطاب والابتعاد عن القصص والأخبار الشاذة والغريبة .. والعناية بالتثبت والتدقيق فيما يقال ويذكر والحرص على الموضوعية والصدق التام ..

من المراجع المقترحة:

١- التجديد في الخطاب الدعوي المعاصر، أحلام بنت محمد الدويخ.

٢- تجديد الخطاب الدعوي، محمد راتب النابلسي.

٣- الخطاب الدعوي (أهدافه ووسائله وأساليبه وميادينه)، فؤاد يوسف أبو سعيد.

٤- معالم الخطاب الدعوي عند النبي ﷺ، د. طالب حماد أبو شعر.

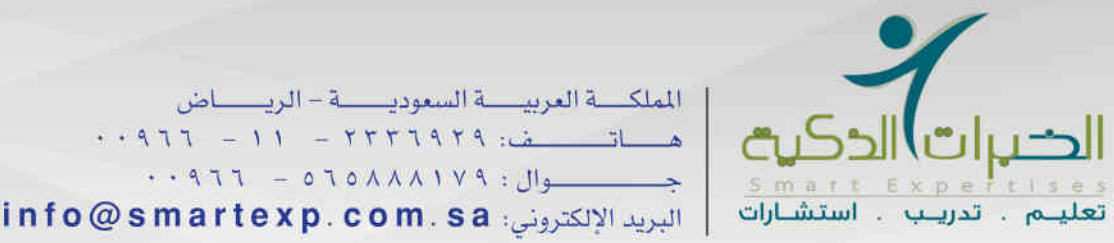

المملكة العربية السعودية – الرياض
هاتف: ٢٢٣٦٩٢٩ - ١١ - ٠٠٩٦٦
جوال: ٥٦٥٨٨٨١٧٩ - ٠٠٩٦٦
البريد الإلكتروني: info@smartexp.com.sa